رحلة العلماء الأندلسيين إلى مكة المكرمة
خلال القرن الهجري الخامس
بين الاستفادة والإفادة

إعداد

أ. د. مبارك بن الحسن لمين

جامعة ابن زهر / أكَادير – المغرب

بحث مقدم إلى ندوة

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

ملخص البحث

تصدرت مكة المكرمة المراكز العلمية المشرقية في استقطاب العلماء الأندلسيين خلال القرن الهجري الخامس، وترجع هذه الصدارة إلى عاملين أساسين: أولهما ديني؛ يتمثل في الرغبة في أداء فريضة الحج وسنة العمرة، إضافة إلى حرص البعض على مجاورة الحرم. وثانيهما علمي؛ حيث الرغبة الأندلسية في الاستفادة والإفادة من خلال الفضاء العلمي الذي يوفره موسم الحج.

واتجهت الاستفادة العلمية الأندلسية في مكة المكرمة لتحقيق عدة مطالب، ومنها رغبة التعالي في الإسناد، وخاصة في مجال الحديث النبوي، وطلب الإجازة المشرقية، ولقاء مشيخة العلم، إضافة إلى إدخال المرويات المشرقية إلى الأندلس في مختلف التخصصات الشرعية.

أما الإفادة الأندلسية بمكة المكرمة، فاتجهت نحو مجالين أساسين، وهما: التدريس والتصنيف. فعلى المستوى الأول عمل الأندلسي على تنشيط حلقات العلم بالحرم المكي باعتباره محدثا وفقيها ومقرئا ولغويا. أما على المستوى الثاني فقد أسهم الأندلسي في إغناء المكتبة المكية ببعض المصنفات في مختلف التخصصات الشرعية.

وتميز الأندلسيون المشاركون في الرحلة بجملة من الخصائص على مستوى بنياتهم وتوزيعهم. فعلى مستوى البنية العمرية سجلت الفئة

العمرية (٢٠- ٣٩ سنة) السبق في المشاركة في الرحلة. أما بنيات تخصصاتهم العلمية فتميزت بهيمنة التخصصات الشرعية، وفي مقدمتها الحديث والفقه والقراءات، إضافة إلى علوم اللسان مثل اللغة والنحو والآداب.

أما على مستوى توزيعهم الجغرافي، فقد استحوذت الحواضر الأندلسية الكبيرة على تيار الرحلة إلى مكة، ويتعلق الأمر بقرطبة وطليطلة وإشبيلية، مع مشاركة محدودة لباقي الحواضر.

***

مقدمة :

تعتبر ظاهرة الرحلة العلمية إلى المشرق عموما، وإلى مكة المكرمة على الخصوص، إحدى السمات الأساسية التي ميزت الحياة العلمية والتعليمية بالأندلس، ومن الخصائص البارزة التي لازمت عالم علماء الأندلس في معظم القرون التي عمرها الإسلام بشبه جزيرة إيبيريا.

وخلال القرن الهجري الخامس، أسهمت هذه الرحلة في الرصيد التكويني للعديد من الطاقات العلمية الأندلسية، وفضلا عن هذا، فإن الرحلة في اتجاهها من الأندلس إلى مكة المكرمة شكلت إحدى القنوات الفاعلة في مجال التأثير والتأثر العلميين بين ذينك الطرفين من العالم الإسلامي.

وللوقوف على هذه المعطيات، تم اختيار مصدر مناسب أرضية

للدراسة، كما تم انتقاء منهج علمي وسيلة للمعالجة. فعلى مستوى المادة المصدرية، أولت كتب التراجم موضوع رحلة العلماء عناية ملحوظة، حدها الأدنى الإشارة إلى رحلة المترجَم له بدون تفصيل أو استطراد. ويكتسي كتاب "الصلة" لابن بشكوال (٤٩٤- ٥٧٨هـ) أهمية قصوى في رصد حركة الترحال تلك خلال القرن موضوع العرض، لاعتبارين:

أولهما أن المؤلِّف قريب عهد من القرن الهجري الخامس، مما أتاح له فرصة الاحتكاك المباشر بالعديد من علماء القرن والأخذ عنهم.

وثاني الاعتبارين يتمثل في كون ابن بشكوال تصدى لمهمة محددة، تمثلت في رغبته إتمام عمل ابن الفرضي (ت. ٤٠٢هـ) مؤلف كتاب "تاريخ علماء الأندلس"، حيث توقف فيه عند نهاية القرن الهجري الرابع، فجاء تركيز ابن بشكوال على القرن الموالي.

أما على مستوى المنهج، فقد تم اعتماد المنهج الكمي، بمحاولة الجرد الاستكشافي لكتاب "الصلة"، مما أفرز معطيات إحصائية حول بنيات الأندلسيين العمرية وتخصصاتهم العلمية، وتوزيعهم الجغرافي على مستوى المشرق والأندلس، إضافة إلى اتجاهات استفادتهم وإفادتهم بمكة المكرمة. وشكلت هذه المعطيات محاور هذا العرض.

مكانة مكة المكرمة بين المراكز العلمية المشرقية لدى الأندلسيين

تميزت الخريطة الثقافية للمشرق الإسلامي، خلال القرن الهجري الخامس، بانتشار العديد من المراكز العلمية عبر هذا الشطر من العالم الإسلامي، بدءا بمراكز مصر ومرورا بمحطات الشام والعراق والحجاز، وانتهاء بمراكز المشرق العجمي.

فما هو الموقع العلمي لمكة المكرمة لدى أندلسيي الفترة موضوع الدراسة؟

حرصت كتب التراجم الأندلسية على تتبع الأندلسي في تنقلاته عبر مختلف المراكز العلمية بالمشرق. وتتباين أهمية هذا التتبع من ترجمة لأخرى. ومن خلال كتاب "الصلة"، يستطيع القارئ الوقوف على محطات علمية عديدة ارتادها الأندلسي بالمشرقين العربي والعجمي، غير أن الصدارة تبقى لمكة المكرمة ضمن مجموع المراكز العلمية[1] التي طرأ عليها الأندلسيون. فما هي العوامل المفسرة لهذه الصدارة؟

١) عوامل دينية :

أ- تأدية فريضة الحج

عكست كتب التراجم هذا الجانب من أغراض رحلة الأندلسي إلى المشرق، بوضوح وبمختلف الصيغ[2]، ومن النادر العثور على ترجمة أندلسي

(١) انظر الجدول رقم ١ بالملحق.

(٢) من هذه الصيغ: »ورحل حاجا«، أو »وله رحلة إلى المشرق حج فيها«، أو »وحج وأدى الفريضة«... الصلة، ج. ١، ص. ٩٥، ج. ٣، صفحتا. ٩٧٦ و٩٨٨.

رحل إلى المشرق ولم يعرِّج على مكة لأداء الفريضة.

ومن العلماء الأندلسيين من حج حججا متتالية؛ فأبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (٤٠٣- ٤٧٤هـ) أقام في الحجاز ثلاثة أعوام »وحج أربع حجج«[(١)]. أما عبد الله بن سعيد الشنتجالي (ت. ٤٣٦هـ) فحج »حجة الفريضة عن نفسه، وأتبعها خمسا وثلاثين حجة«[(٢)].

إن تعدد الحجج وتلازمها عند بعض العلماء الأندلسيين يشير إلى حضور دافع ديني آخر وراء رحلتهم إلى مكة المكرمة، ويتمثل في مجاورة الحرم.

ب- مجاورة الحرم المكي:

تسجل كتب التراجم هذا الجانب (الجوار) بوضوح في حياة بعض الأندلسيين، بل وتميز بينه وبين الحج بعبارات منها: »حج وجاور«[(٣)]، كما تشير إلى قصر مدة الجوار أو طولها[(٤)].

ومن العلماء الأندلسيين من كانت له رحلتان إلى مكة، حج في أولاهما، وفي ثانيتهما »جاور بها إلى أن توفي«[(٥)]، ومنهم من سكن مكة لمدة طويلة حتى نسب إليها؛ حيث عرف »بالبكي لطويل سكناه

(١) نفح الطيب، ج. ٢، ص. ٢٧٩.

(٢) الصلة، ج. ٣، ص. ٤١٧.

(٣) نفسه، ج. ١، ص. ١٧٠.

(٤) نفسه، ج. ١، ص. ١٧٠، ج. ٣، ص. ٨٩٣.

(٥) نفسه، ج. ١، ص. ٣٥٩.

بمكة«[١].

ومن خلال عملية الجرد الاستكشافي لكتاب "الصلة"، أمكن الوقوف على لائحة لأندلسيين جاوروا بمكة خلال القرن الهجري الخامس، مع تفاوت مدد جوارهم[٢].

مما سبق نستنتج أن الدوافع الدينية، ممثلة في أداء فريضة الحج ومجاورة الحرم، كانت حاضرة بوضوح في رحلة العلماء الأندلسيين إلى مكة المكرمة، غير أن معظمهم كان يزاوج في رحلته بين الجانبين الديني والعلمي، فما هي إذن الدواعي العلمية لتلك الرحلة المكية؟

١) عوامل علمية :

لا يقل الجانب العلمي أهمية عن الجانب الديني في استقطاب الأندلسيين إلى مكة المكرمة. ورغم اختزال بعضهم لرحلته في أداء الفريضة[٣]، فإن العديد منهم زاوج في رحلته الحجازية بين الجانبين الديني والعلمي.

يعتبر موسم الحج - إضافة إلى وظيفته الدينية- فضاء علميا مناسبا للاستفادة والإفادة، حيث يجتمع في إطاره علماء الإسلام من

(١) الذيل والتكملة، س. ١، ق. ١، ص. ٧٩.

(٢) انظر الجدول رقم ٢ بالملحق.

(٣) الصلة، ج. ٣، ص. ٩٧٦، التكملة، ص. ١٧٩.

كل حدب وصوب، وفي مختلف التخصصات.

فما هي إذن خصائص بنيات العلماء الراحلين إلى مكة وتوزيعهم الجغرافي؟ وما هي اتجاهات الاستفادة والإفادة الأندلسية في موسم الحج خلال القرن الهجري الخامس؟

***

بنيات[1] العلماء الأندلسيين الراحلين إلى مكة المكرمة وتوزيعهم

١) البنية العمرية:

لا تسعفنا المادة المصدرية بأرقام شمولية عن كافة العلماء الطارئين على مكة المكرمة، سواء على مستوى سن الولادة والوفاة، أو على مستوى تاريخ الرحلة. وفي حدود ما تسمح به معطيات كتاب "الصلة"، ما هي الخصائص التي تسجلها هذه البنية؟

أ- البنية العمرية عند الرحلة :

نستنتج من خلال المعطيات الإحصائية[2] أن نسبة المشاركة في الرحلة إلى مكة المكرمة تبلغ أوجها عند الفئة العمرية (٢٠- ٣٩ سنة)، لتتراجع عند باقي الفئات العمرية الموالية، ويمكن تعليل ذلك

(١) البنية عبارة عن ترتيب عددي للعلماء، ويكون معيار الترتيب ميزة أو خاصية من خصائصهم. وهي في هذه الدراسة: السن، والتخصص العلمي.

(٢) انظر الجدول رقم ٣ في الملحق.

بكون طالب العلم في عنفوان شبابه، ومن ثم يتأهل لتحمل مشاق الرحلة والأخذ والعطاء العلميين.

ب- البنية العمرية عند الوفاة:

يتضح من خلال المعطيات الإحصائية[(١)] أن أعمار معظم الأندلسين الراحلين إلى مكة المكرمة تتراوح ما بين الستين والتسع والسبعين سنة، وهذا مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: »أعمار أمتي ما بين ستين إلى سبعين، وأقلهم من يجوز ذلك«[(٢)]. وتلي هذه الفئة العمرية من حيث الأهمية، الفئة (٨٠- ٩٩ سنة)، مما يسمح بالحكم على أن معدل أمد الحياة للعلماء الأندلسيين إيجابي، وهذا سينعكس على الأخذ والعطاء العلميين.

٢) بنية التخصصات العلمية:

تميزت بنية التخصصات العلمية[(٣)] للأندلسين الراحلين إلى مكة بهيمنة العلوم الشرعية، وهي على التوالي: الحديث، والفقه،

(١) انظر الجدول رقم ٤ في الملحق.

(٢) قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب، من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقد روي عن أبي هريرة من غير هذا الوجه. (عارضة الأحوذي، ج. ١٣، ص. ٦٥)، وأورده الألباني في: "سلسلة الأحاديث الصحيحة"، ط. ٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج. ٢، ص. ٣٩٧، رقم الحديث ٧٥٧.

(٣) انظر الجدول رقم ٥ في الملحق.

والقراءات، مع ضمور في تخصصات الأصول، والتفسير، وعلم الكلام، والتصوف. كما نسجل أهمية المتخصصين في علوم اللسان مثل النحو، واللغة، والأدب.

٣) التوزيع الجغرافي :

يستنتج من المعطيات الإحصائية[١] هيمنة الأقطاب الحضرية الأندلسية الكبرى على تيار الرحلة إلى مكة، ويتعلق الأمر على التوالي بطليطلة، وقرطبة، وإشبيلية، بينما تبقى مشاركة باقي الحواضر محدودة ومتفاوتة.

تأسيسا على ما سبق، فإن التوزيع الجغرافي عبر حواضر الأندلس للعلماء الراحلين إلى مكة يتسم بالتفاوت، كما أن تخصصاتهم العلمية يطبعها التباين الشديد، غير أن بنيتهم العمرية إيجابية على العموم، مما يخدم الإفادة والاستفادة الأندلسية بالحرم المكي.

الاستفادة العلمية الأندلسية بمكة المكرمة

شكلت الاستفادة العلمية أحد الأغراض الأساسية لرحلة العلماء الأندلسيين إلى مكة المكرمة. وتميزت المطالب الأندلسية من وراء هذه الاستفادة بتعددها وتداخلها، فما هي إذن هذه المطالب؟

(١) انظر الجدول رقم ٦ في الملحق.

١) مطلب العلو في الإسناد

أ- أهمية الإسناد وفضل التعالي فيه

يعتبر الإسناد »خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة«[(١)]، وقد حض العلماء على تقييد العلم بالأسانيد كارهين لكل علم عار من السند. ونقل ابن خير الإشبيلي عن أحدهم بأن كل علم خال من »حدثنا أو أخبرنا فهو خَلٌّ وبَقْلٌ«[(٢)].

وينقسم الإسناد من حيث درجته إلى إسناد عالي وإسناد نازل، والعلو في الإسناد هو قلة عدد الوسائط في سند الحديث مع اتصال السند، مما يكسب الحديث قوة، ولذلك كان طلب العلو في الإسناد مرغبا فيه، واعتبر الإمام أحمد بن حنبل (ت. ٢٤١هـ/٨٠٠م) »الإسناد العالي سنة عمن سلف«[(٣)]. ولا يتحقق العلو في الإسناد إلا بشد الرحال إلى مختلف الأقطار، ومن ثم استحبت الرحلة في طلبه[(٤)].

بناء على أهمية الإسناد وأفضلية التعالي فيه، اجتهد العديد من الأندلسيين لإسناد حصيلتهم العلمية بمكة المكرمة. ولئن شمل هذا الحرص وذلك الاجتهاد مختلف حقول المعرفة، إلا أن الصدارة تبقى للحديث النبوي.

---

(١) علوم الحديث، ص. ٢٣١.

(٢) فهرسة ما رواه عن شيوخه، ص. ١٢.

(٣) اختصار علوم الحديث، ص. ١٠٦.

(٤) ابن الصلاح، المصدر السابق، ص. ٢٣١.

ب- السعي للتعالي في إسناد صحيح البخاري

يعتبر الإمام أبو ذر الهروي[(١)] (ت. ٤٣٥هـ) أبرز الشيوخ الذين انتهى إليهم علو الإسناد في رواية الصحيح بمكة المكرمة، حيث جاور إلى أن توفي، ومن أشهر مصنفاته المتداولة "المسند الصحيح المخرج على البخاري ومسلم"، و"مسانيد الموطإ".

التف أندلسيو القرن الهجري الخامس حول أبي ذر للأخذ والسماع بالحرم المكي، وتردد اسمه في العديد من تراجمهم[(٢)].

ورغم تعدد الرواة الأندلسيين عن أبي ذر خلال القرن الهجري الخامس، فإن أشهر الطرق المعتمدة من قبل الرواة تنحصر في روايات[(٣)]:

١- أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت. ٤٧٤هـ).
٢- أبي العباس أحمد بن عمر العذري (ت. ٤٧٨هـ).
٣- أبي عبد الله محمد بن أحمد بن منظور القيسي (ت. ٤٦٩هـ).
٤- أبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني (ت. ٤٧٦هـ).

---

(١) انظر ترجمته في الديباج، ج ٢، ص. ١٣٢، سير أعلام النبلاء، رقم ٤٠١٩.

(٢) انظر على سبيل المثال: الصلة، أرقام: ١١٨، ١١٩، ١٤١، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٤٧، ٣٩٣، ٤٣٥ وغيرها.

(٣) صحيح البخاري في الدراسات المغربية، ص. ٥٩.

ويحمل ابن خير الإشبيلي[١] بعض هذه الروايات، ومن أسانيده في هذا الإطار:

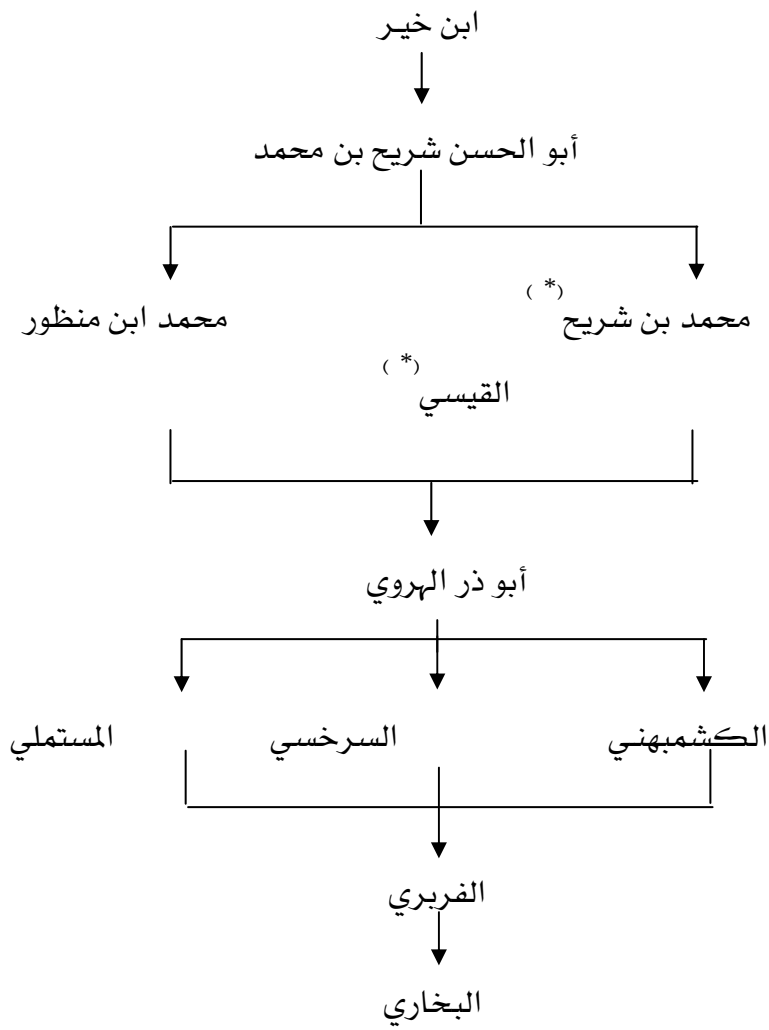

(١) فهرسة ما رواه عن شيوخه، ص. ٩٤.

(*) الحلقة الواصلة بين المشرق والأندلس.

وبموازاة مع الرغبة في التعالي في إسناد الصحيح، سعى بعض الأندلسيين إلى تحصيل إجازة شيوخ العلم بالحرم المكي.

٢) مطلب الإجازة العلمية:

تعتبر الإجازة من أهم طرق نقل العلم وتحمله عند المسلمين. وذكر ابن خير[١] فائدتين للإجازة؛ أولاهما استعجال الرواية عند الضرورة، وثانيهما الاستكثار من المرويّ.

ولمكانة الإجازة هذه، حرص عدد من أندلسيي القرن الهجري الخامس على طلبها في رحلتهم، ومن ثم جالسوا شيوخ العلم بمكة المكرمة، وتوجوا ذلك بنيل الإجازة، فمحمد بن شريح الرعيني الإشبيلي (ت. ٤٧٦هـ/١٠٨٣م) سمع من أبي ذر صحيح البخاري وأجاز له[٢].

٣) مطلب لقاء شيوخ العلم :

عد ابن خلدون الرحلة »في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم«[٣]. ويوفر موسم الحج ظروف هذا الطلب، وفرصة هذا اللقاء، باعتبار هذا الموسم فضاء علميا يجتمع في إطاره علماء الإسلام من كل حدب وصوب، وفي مختلف التخصصات.

(١) فهرس ما رواه عن شيوخه، ص. ٩٤.

(٢) الصلة، ج. ٣، صفحتا. ٨٠٩- ٨١٠.

(٣) المقدمة، ج. ٣، ص. ١٢٥٥.

ويبدو أن بعض الأندلسيين انتهزها فرصة للاحتكاك بتلك الطاقات العلمية دونما حاجة لشد الرحال إلى العراق أو الشام أو المشرق العجمي، قاصرا رحلته العلمية على مكة المكرمة. فقد التقى أحمد بن عمر العذري (ت. ٤٧٨هـ) بجماعة »من المحدثين من أهل العراق وخراسان والشامات الواردين على مكة، أهل الرواية والعلم«[١].

٤) مطلب نقل المرويات إلى الأندلس:

اتجهت همة بعض الأندلسيين في مكة المكرمة إلى طلب عيون التآليف وأمهات التصانيف قصد نقلها إلى الأندلس، وتتسم تلك المرويات بتنوع تخصصاتها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- مرويات في علوم القرآن:

- "اختصار كتاب البيان في تفسير القرآن"، لأبي عبد الله محمد الجاحظ، رواه وأدخله الأندلس أبو بكر غالب بن عطية عن مختصره بمكة[٢].

ب- مرويات الحديث وعلومه:

- "المسند الصحيح المختصر من السنن" لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت.٢٦١هـ)، وممن رواه أبو بكر بن العربي عن إمام الحرمين أبي عبد الله الحسين الطبري[٣].

---

(١) الصلة، ج. ١، ص. ١١٦.

(٢) ابن عطية، مصدر سابق، ص. ٦٢.

(٣) ابن خير، مصدر سابق، ص. ٩٨.

- مصنف الإمام أبي داود (رواية اللؤلؤي)، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي (ت. ٢٧٥هـ)، رواه وأدخله الأندلس كل من أبي العباس العذري وأبي الوليد الباجي عن أبي ذر الهروي بمكة[١].

- "كتاب علل الحديث" لأبي الحسن الدارقطني، رواه كل من أبي العباس العذري وأبي الوليد الباجي عن أبي ذر الهروي بمكة[٢].

جـ- مرويات السيرة والتاريخ

- "كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم" لابن طرخان، رواه أبو عبد الله محمد بن منظور عن أبي ذر بالمسجد عند باب الندوة سنة ٤٣١هـ[٣].

- "التاريخ الكبير المبسوط" في ثلاثين جزءا لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، رواه أبو الوليد الباجي وأبو العباس العذري عن أبي ذر الهروي بسنده إلى المؤلف[٤].

د- مرويات الفقه

- كتاب "مناسك الحج" لأبي ذر الهروي، رواه محمد بن شريح ومحمد بن منظور عن المؤلف[٥].

---

(١) نفسه، ص. ١٠٤.

(٢) نفسه، ص. ٢٠٣.

(٣) نفسه، ص. ٢٣١.

(٤) ابن خير، مصدر سابق، ص. ٢٠٥.

(٥) نفسه، ص. ٢٥٠.

هـ- مرويات في الزهد والرقائق :

- "كتاب الدعوات"، و"كتاب الرؤيا والمنامات"، و"كتاب دلائل النبوة"، و"كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في عيشهم وتخليهم عن الدنيا"، وكلها لأبي ذر الهروي، رواها أبو العباس أحمد العذري عن المؤلف بمكة[(١)].

- "كتاب الزهد والرقائق" لعبد الله بن المبارك (ت. ١٨١هـ)، رواه أبو الوليد الباجي عن أبي ذر الهروي بسنده إلى المؤلف[(٢)].

- "كتاب الرعاية لحقوقه تعالى" للحارث بن أسد المحاسبي (ت. ٢٤٣هـ)، رواه حاتم بن محمد الطرابلسي عن ابن عزرة بمكة بسنده عن المؤلف[(٣)].

وهكذا فإن عملية الجرد لطرف من المرويات التي أدخلها الأندلسيون من مكة المكرمة تعكس رغبتهم في إغناء المكتبة الأندلسية بجملة من المصنفات في مختلف التخصصات الشرعية. وقد قابل هذه الاستفادة من مكة إفادة علمية أندلسية لنزلاء الحرم.

(١) نفسه، صفحتا. ٢٨٦- ٢٨٧.

(٢) ابن عطية، مصدر سابق، صفحتا. ١٣٥- ١٣٦.

(٣) ابن خير، مصدر سابق، ص. ٢٧٢.

الإفادة العلمية الأندلسية بمكة المكرمة:

لم ينحصر النشاط العلمي الأندلسي في مكة المكرمة على الاستفادة فحسب، بل تعداها إلى إفادة نزلاء الحرم. إن مستوى النضج الذي أدركته الشخصية العلمية الأندلسية أهلها لتصبح منبعا للعطاء، ومصدرا للإفادة، فما هي خصائص تيار الإفادة الأندلسية بمكة المكرمة؟ وما هي أبرز مجالات تلك الإفادة؟

١) خصائص تيار الإفادة الأندلسية :

- محدودية عدد الأندلسيين المشاركين في مجال الإفادة العلمية بمكة المكرمة[(١)].
- انقسام الأندلسيين الذين أفادوا بمكة بين الإقامتين الدائمة والمؤقتة بالحرم المكي[(٢)].
- هيمنة القرطبيين على تيار الإفادة العلمية بمكة المكرمة[(٣)].
- غلبة المحدثين والفقهاء على مجال الإفادة بالحرم المكي[(٤)].

(١) انظر الجدول ٧ في الملحق.

(٢) انظر الجدول ٨ في الملحق.

(٣) انظر الجدول ٩ في الملحق.

(٤) انظر الجدول ١٠ في الملحق.

٢) مجالات الإفادة الأندلسية[١]

أ- التدريس :

شكل التدريس المجال الرحب الذي استوعب العديد من الأندلسيين بمكة، ولا غرو في ذلك، فإن بنية تخصصاتهم العلمية ترشحهم للمجال التعليمي أكثر من غيره من المجالات.

فمن الأندلسيين من أفاد نزلاء الحرمين بما حصله في الأندلس؛ فعن محمد بن سعيد الأموي أخذ الناس في الحجاز بعد سماعه على شيوخ قرطبة[٢]. وقد يأخذ الأندلسي عن مواطنه بالحرم المكي؛ حيث أخذ مفرج بن عبد الله المالكي عن جماهر بن عبد الرحمن الحجري الذي رحل إلى مكة سنة ٤٥٢هـ[٣]. أما أبو الحسين طاهر المالقي، الذي رحل ٤٠٣هـ، فتصدر للإقراء بالحرم المكي[٤].

ب- التصنيف :

لئن اتجهت الاستفادة الأندلسية بمكة المكرمة، في جانب منها، إلى رواية الكتب المشرقية، ونقلها إلى الأندلس، فإن الإفادة الأندلسية هناك أسهمت في تغذية المكتبة المكية وإغنائها، وذلك بما

(١) انظر الجدول ١١ في الملحق.

(٢) الصلة، ج. ٢، ص. ٧٥١.

(٣) نفسه، ج. ٣، ص. ٨٩٣.

(٤) الذيل والتكملة، س. ٤، ص. ١٥٤.

صنفه بعض الأندلسيين بالحرم المكي.

وفي هذا الإطار نذكر على سبيل المثال أن رزين بن معاوية العبدري الأندلسي (ت.٥٢٤هـ) ألف خلال مقامه بمكة المكرمة مصنفين وهما[1] :

- التجريد في الجمع بين الصحاح الستة.
- أخبار مكة والمدينة وفضلهما.

***

خلاصة واستنتاجات :

تتبعنا خلال هذا العرض واقع تيار رحلة العلماء الأندلسيين إلى مكة المكرمة خلال القرن الهجري الخامس، بدءا بوقفة عند أهمية الحرم المكي باعتباره محطة علمية للأندلسي، ومرورا ببنيات رواد الرحلة وتوزيعهم، وانتهاء برصد الاستفادة والإفادة الأندلسيتين بالمشرق. فما هي الاستنتاجات التي يمكن الخروج بها مما سبق؟

أولا: احتلال مكة المكرمة للريادة بين المراكز العلمية المشرقية بالنسبة للأندلسيين، مما يترجم التلازم الوثيق بين الغرضين الديني والعلمي في الرحلة.

(١) الصلة، ج. ١، ص. ٢٩٦. معجم المؤلفين، مج. ٢، ج. ٤، ص. ١٥٥.

ثانيا: أهمية الفئة العمرية الشابة في تيار الرحلة، إضافة إلى أن أمد الحياة لمعظم الراحلين معتبر، ولهذين المعطيين دور إيجابي على الحياة العلمية الأندلسية، حيث يتم استيعاب علم الحرم المكي في مرحلة الفتوة، إضافة إلى انتفاع الأندلس بطاقتها العلمية لمدة طويلة بعد إيابها من رحلتها.

ثالثا: هيمنة الحواضر الأندلسية الكبرى على تيار الرحلة إلى مكة المكرمة.

رابعا: تصدر المحدثين للائحة الأندلسيين الراحلين إلى مكة المكرمة، مما يترجم مركزية الحديث وعلومه في تيار الرحلة، وبعد المحدثين يأتي الفقهاء والقراء، مع ضعف نسبة المنسبين إلى التخصصات الشرعية الأخرى.

خامسا: قوة جانب الاستفادة على جانب الإفادة في تيار الرحلة من حيث أهمية نسبة الرواد، مع اتجاه الاستفادة الأندلسية نحو تحقيق عدة مطالب علمية، بينما سعت إفادة الأندلس نحو العطاء في مجالي التدريس والتصنيف.

سادسا: إصرار الفئة المثقفة الأندلسية على التواصل والاتصال مع نظيرتها المشرقية، رغم التحديات التي يواجهها العالم الإسلامي، من تمزق سياسي، وخلافات مذهبية، وتحرشات صليبية، وهذا كفيل بلفت انتباه الفئة المثقفة المعاصرة إلى ضرورة استثمار هذا الرصيد التاريخي قصد العمل على تعميق التواصل بينها، باعتبار ذلك

إحـــدى القنـــوات الـــتي تمـــر عبرهـــا الوحـــدة المنـــشودة، وإحـــدى وســـائل مواجهة التحديات المطروحة.

وباللّه التوفيق.

الملحـق

الجدول رقم ١

توزيع الأندلسيين على المراكز العلمية بالمشرق من خلال "صلة" ابن بشكوال

المحطات العلمية	عدد الأندلسيين الطارئين	النسبة المئوية (٪)
مكة المكرمة	١٠٥	٤٧,٧٢
الفسطاط	٦٥	٢٩,٥٤
بغداد	١٩	٨,٦٣
دمشق	١٣	٥,٩
الإسكندرية	١٠	٤,٥٦
بيت المقدس	٥	٢,٢٧
ميافارقين	١	٠,٤٦
الأهواز	١	٠,٤٦
حران	١	٠,٤٦
المجموع	٢٢٠	١٠٠

الجدول رقم ٢

بعض الأندلسيين الذين جاوروا بالحرم المكي من خلال كتاب "الصلة"

اسم العالِم المجاور	فترة الجوار	المصدر
رزين بن معاوية العبدري	جاور إلى أن توفي عام ٥٢٤هـ	الصلة: ٢٩٦/١- ٢٩٧
أحمد بن أنس العذري	٤٠٨- ٤١٦هـ	نفسه: ١١٥/١- ١١٧
عمر بن أنس العذري	٤٠٨- ٤١٦هـ	نفسه.
إسماعيل بن محمد بن خزرج	٤١٠- ٤١٢هـ	نفسه: ١٧٠/١- ١٧١
سعدون بن محمد الزهري	بعد ٤٠٠- ٤٣٥هـ	نفسه: ٣٥٩/١
محمد بن وليد العكي	جاور إلى أن توفي عام ٤٥٢هـ	نفسه: ٧٨٨/٣
مفرج بن عبد الله المالكي	جاور (حي عام ٤٥٢هـ)	نفسه: ٨٩٣/٣

الجدول رقم ٣

البنية العمرية لبعض الأندلسيين عند رحلتهم إلى مكة المكرمة من خلال "الصلة"

الفئة العمرية	العدد	النسبة المئوية (%)
٠- ١٩ سنة	٣	١٢,٥
٢٠- ٣٩	١٢	٥٠
٤٠- ٥٩	٦	٢٥
٦٠ سنة فما فوق	٣	١٢,٥
المجموع	٢٤	١٠٠

الجدول رقم ٤

البنية العمرية عند الوفاة لبعض الأندلسيين الراحلين إلى مكة

الفئة العمرية	العدد	النسبة المئوية (٪)
٠- ١٩ سنة	٠	٠
٢٠- ٣٩	١	٢,٤٤
٤٠- ٥٩	٦	١٤,٦٣
٦٠- ٧٩	٢٢	٥٣,٦٦
٨٠- ٩٩	١١	٢٦,٨٣
١٠٠- ١١٠	١	٢,٤٤
المجموع	٤١	١٠٠

الجدول رقم ٥

بنية التخصصات العلمية للأندلسيين من خلال كتاب "الصلة" لابن بشكوال

التخصص العلمي	العدد	النسبة المئوية (٪)
الحديث	٧٨	٤٠,٨
الفقه	٣٥	١٩,٣٢
القراءات	٢٢	١١,٥٢
اللغة	٠٩	٤,٦
الآداب	٠٨	٤
التصوف والزهد	٠٧	٣,٦٦
التفسير	٠٦	٣
الخلافة والرأي	٠٦	٣
أصول الفقه	٠٥	٢,٦
التاريخ	٠٤	٢
علم الكلام	٠٤	٢
النحو	٠٤	٢
الشعر	٠٣	١,٥
المجموع	١٩١	١٠٠

الجدول رقم ٦

الانتماء الجغرافي للأندلسيين من خلال كتاب "الصلة" لابن بشكوال

الموطن	العدد	النسبة المئوية (٪)
طليطلة	٢٦	٢٤,٧٦
قرطبة	٢٠	١٩,٠٥
إشبيلية	١٩	١٨,١
سرقسطة	١٠	٩,٥٢
المرية	٠٨	٧,٦١
بلنسية	٠٦	٥,٧١
مرسية	٠٤	٣,٨١
ميورقة	٠٣	٢,٨٥
مالقة	٠٣	٢,٨٥
الفرج	٠٢	١,٩
إقليش	٠١	٠,٩٦
شنترين	٠١	٠,٩٦
غرناطة	٠١	٠,٩٦
جيان	٠١	٠,٩٦
المجموع	١٠٥	١٠٠

الجدول رقم ٧

توزيع الأندلسيين على تياري الإفادة والاستفادة بمكة المكرمة

نوع النشاط	عدد المشاركين	النسبة المئوية (٪)
الاستفادة	٠٩٦	٩١,٤٣
الإفادة	٠٠٩	٨,٥٧
المجموع	١٠٥	١٠٠

الجدول رقم ٨

توزيع الأندلسيين الذين أفادوا بين الإقامتين: الدائمة والمؤقتة بالحرم المكي

طبيعة الإقامة	العدد	النسبة المئوية (٪)
الدائمة	٤	٤٤,٤٥
المؤقتة	٥	٥٥,٥٥
المجموع	٩	١٠٠

الجدول رقم ٩

الانتماء الجغرافي للأندلسيين الذين أفادوا بالحرم المكي

الموطن	العدد	النسبة المئوية (٪)
قرطبة	٤	٤٤,٤٥
سرقسطة	١	١١,١١
لبلة	١	١١,١١
المرية	١	١١,١١
طليطلة	١	١١,١١
شاطبة	١	١١,١١
المجموع	٩	١٠٠

الجدول رقم ١٠

بنية التخصصات العلمية للأندلسيين الذين أفادوا بالحرم المكي

التخصص	العدد	النسبة المئوية (٪)
الحديث	٤	٣٣,٣٤
الفقه	٤	٣٣,٣٤
الأصول	١	٨,٣٣
النحو	١	٨,٣٣
القراءات	١	٨,٣٣
التاريخ	١	٨,٣٣
المجموع	١٢	١٠٠

الجدول رقم ١١

مجالا الإفادة الأندلسية بمكة المكرمة

المجال	العدد	النسبة المئوية (٪)
التدريس	٩	٦٩,٢٤
التأليف	٤	٣٠,٧٦
المجموع	١٣	١٠٠

المصادر والمراجع

١- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي: "التكملة لكتاب الصلة"، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط. ١، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة- بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٢- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك: "كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهم وفقهائهم وأدبائهم"، ٣ أجزاء، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط. ١، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٣- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد : "المقدمة"، الجزء ٣ من أصل ٣ أجزاء، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط ٣، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٨١م.

٤- ابن خير، أبو بكر محمد بن خير بن عمر الإشبيلي: "فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف"، تحقيق الشيخ فرنشكة قداره زيدين وتلميذه خليان ربَاره طرغوه، ط. ٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٥- الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: "سير أعلام النبلاء"، ٢٣ جزءا، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوس، ط. ٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠/١٩٩٠.

٦- ابن الصلاح، الإمام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري: "علوم الحديث"، تحقيق: نور الدين عتر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠١/١٩٨١.

٧- ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي

المراكشي: "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة":- السفر الأول بقسميه الأول والثاني، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (بدون تاريخ).- بقية السفر الرابع، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٤.

٨- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق المحاربي: "فهرس ابن عطية"، تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، ط. ٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣.

٩- ابن فرحون، القاضي برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد : "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"، جزآن، تحقيق وتعليق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

١٠- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل : "اختصار علوم الحديث"، تعليق وشرح صلاح عويضة، ط. ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١١- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني: "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"، الجزء ٢ من أصل ١١ جزء، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط. ١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٢- المنوني، محمد : "صحيح البخاري في الدراسات المغربية من خلال رواته الأولين ورواياته وأصوله"، دعوة الحق، السنة ١٧، عدد ١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ١٩٧٥، صفحات. ٥٦- ٧٩.

١٣- كحالة، عمر رضا :"معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية"، ٨ مج، الناشر مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.